التناظر الفكري وثنائية علم المكان دراسة في فلسفة الجغرافية

ا. م. د هدى عيدان جبار الربيعي/ التخصص الدقيق/ الفكر الجغرافي
قسم الجغرافيا/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة المثنى.
hudaidan@mu.edu.iq

Abstract

A number of questions fall into the eye of the geographer who tries to explain them and overcome the complexities and entanglements of them that fall under the category of dualities that geography has been exposed to over different times, depending on the direction of studies towards natural or human content. Therefore, this study came to reveal the reasons for the succession of this duality and the stages of its escalation according to geographical views and the extent of influence on them. To be a detailed answer to researchers in the philosophy of geography and intellectual studies through a chronological sequence of the growth of ideas of determinism and possibility, so the goal of the study was to understand geographical dualism by returning to terms and concepts. And through philosophical frameworks to clarify the dialectical relationship that exists between nature and man, and knowledge of the intellectual limits in directing the natural environment for the activities carried out by man on the one hand, and the extent of human capabilities in shaping places on the other hand, and through a historical and descriptive approach, while adopting comparative analysis of the views of geographers in order to find out the reasons.

Keywords: duality, natural geography, human geography, philosophy of geography, geographical unity.

المستخلص

جملة من التساؤلات تقع نصب عين الجغرافي يحاول ان يضع لها تفسير ويذلل العقد والتشابك، منها ينطوي تحت خانة الثنائيات التي تعرضت لها الجغرافية عبر الازمنة المختلفة تبعاً لتوجه الدراسات نحو المضمون الطبيعي منها او البشري، لذا جاءت هذه الدراسة لكشف الاسباب في تعاقب هذه الازدواجية ومراحل تصاعدها تبعاً للآراء الجغرافية ومقدار التأثر فيها، لتكون اجابة تفصيلية للباحثين في فلسفة الجغرافية والدراسات الفكرية عبر تسلسل زمني لتنامي الافكار الحتمية والامكانية، لذا تصدى هدف الدراسة في فهم الثنائية الجغرافية من خلال العودة للمصطلحات والمفاهيم وعبر اطر فلسفية للإيضاح العلاقة الجدلية القائمة بين الطبيعة والانسان ومعرفة الحدود الفكرية في توجيه البيئة الطبيعة للأنشطة التي يقوم بها الانسان من جهة ومقدار الامكانيات البشرية في تشكيل الامكنة من جهة اخرى وعبر منهج تاريخي ووصفي مع اعتماد التحليل المقارن لآراء الجغرافيين لتوصل لمعرفة الاسباب.

الكلمات المفتاحية: الازدواجية، الجغرافية الطبيعية، الجغرافية البشرية، فلسفة الجغرافية، الوحدة الجغرافية.

المقدمة

الحديث عن التناظر الفكري الجغرافي يعني "الحديث عن جانبين احدهما يدرس الارض بوصفها نظاماً طبيعياً بينما يركز الاخر بوصفها فضاء انساني إلا انهما في نهاية المطاف يشكلان العلاقات المكانية التي تصف جوهر هذا العلم وفلسفته المعاصرة" وجدت الجغرافية لتبحث في تنوع الظاهرات لأي مكان من سطح الارض، وقيمتها كعلم اكاديمي يقف بدرجة الاساس عند الروابط بين المعالم المختلفة بظواهرها الطبيعية والبشرية وفي خضم الاهتمام بهذا النوع من الدراسة ولدت وجهات نظر مغايرة ومتنافرة في الفكر الجغرافي تسببت في انقسام الجغرافيين بين مؤيدي الحتم والامكانية وتصاعد الصراع فيما بين الاثنين بمحاولة تقديم الادلة متزامن مع المغالاة في ذلك، انعكست في مجملها في اذابة شخصية الجغرافية ومكانتها[1]. وان لحق الالماني" راتزل" واتباعه بتهمة خلق بدعة الحتمية ولكن هذه الفكرة ليست جديدة حتى انها لم تمت بعد، وقد اوجز الفرنسي "Victor cousin" بكلماته حين قال "نعم ايها السادة اعطوني خريطة بلد من البلاد وتضاريسها ومناخها ورياحها وكل جغرافيتها الطبيعية. اعطوني انتاجها الطبيعي، ونباتها، وحيوانها. واتعهد ان ادلكم مقدماً على انسان هذا البلد كيف سيكون، واي دور سيلعبه هذا البلد في التاريخ، لا بالصدفة بل بالضرورة، لا في عصر واحد بل في كل العصور"[2].حتى اتسعت مدارك وفهم الجغرافيين ليتجاوز كلا النظريتين الحتم والامكانية، لكن سرعان ما وقعت الجغرافية في شبكة الازدواجية الطبيعية والبشرية وبشكل رسمي خلال **منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين** حتى يتصدى الهدف الاساسي من الخوض في هذا الموضوع لتكون ورقة بحثية موجه على وجه الخصوص لطلبة الدراسات العليا وحتى الاولية، حين طرح التساؤل عليهم هل نؤمن بالوحدة الجغرافية ام الثنائية؟ وهذا يدعو بالأحرى التعامل مع التخصص كمضمون وبعلاقات مترابطة بعد فهم اثر نظريتي الحتم والامكانية في ظهور هذا النوع من الصراع.

مشكلة البحث: تتمثل المشكلة الاساسية في الاتي" ما جدلية العلاقة القائمة بين الانسان والمكان"؟ وما هي الحدود الفكرية لدور الانسان في تشكيل المكان او دور البيئة في توجيه سلوك الانسان؟" ومنها تندرج التساؤلات الفرعية الاتية:

1- ما المضمون الفلسفي للجغرافية؟ وكيف اثرت المفاهيم الجغرافية في تحديد محتوى الجغرافية؟
2- ما ابرز الآراء الفكرية التي نادت بضرورة الثنائية الجغرافية او التصدي لها؟
3- هل ان فهم هذا النوع من الثنائية يسهم في تحقيق انتقاله بواقع الجغرافية وطبيعة التفاعل القائم بين الوسط والانسان؟

فرضية البحث: "ثمة علاقة تفاعلية بين الانسان والمكان ولكن لابد من معرفة الجغرافي لحدود تلك العلاقة بما يحقق الاتزان القائم بين الاثنين" وعن الاجابات الفرعية.

1- هناك العديد من المفاهيم الجغرافية عبر التاريخ الطويل لعمر الجغرافية بعضها تصدى للاهتمام بالشق الطبيعي من التخصص واخرى نادت بدور الانسان.
2- توجد العديد من الآراء الفكرية التي دعت بضرورة الفصل القائم بين الجانبين الطبيعي والبشري وكان لها الاثر في تفاقم هذا الخلاف.
3- نعم ان فهم الثنائية الجغرافية يحقق انتقاله في مسار الدراسات الفكرية.

هدف البحث: يتصدر الهدف الاساسي للبحث في فهم الثنائية الجغرافية من جهة وتحليل الآراء الفكرية المتعاقبة ومعرفة الحدود الفكرية الجغرافية لطرفي الازدواجية من جهة اخرى وكيف اثرت في رسم مسار الهوية الجغرافية.

اهمية البحث: تتصدى اهمية البحث من اهمية الفهم الحقيقي لمفاهيم الجغرافية والضرورات التي دعت لتصاعد هذا النوع من الصراع الفكري عبر الزمن.

التناظر الفكري وثنائية علم المكان دراسة في فلسفة الجغرافية

ا. م. د هدى عيدان جبار الربيعي

منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي والتاريخي لتتبع المتغيرات التي طرأت على المفاهيم ثم التحليل المقارن لآراء الافكار الجغرافية في مواجهة او اعتماد هذا النوع من الثنائية.
حدود البحث: تتحدد بمواطن الصراع الفكري لآراء المفكرين والجغرافيين عبر الحضارات القديمة العربية منها وحتى الفكر الغربي على حد سواء. اما الحدود الزمانية تنطلق مع بداية الازمة وتحديد نوع الدراسات سواء مع الحضارات القديمة وحتى الوقت الحاضر.
هيكلية البحث: اقتضت الدراسة تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث رئيسة مع مقدمة شاملة استعرض المبحث الاول (**الجغرافية بين المضمون والفلسفة**) وركز المبحث الثاني على (**تنامي الافكار الحتمية والامكانية**) في حين تناول المبحث الثالث (**الثنائية بمواجهة (علم المكان الجغرافية**) واختتم البحث بالاستنتاجات والتوصيات مع قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الاول: الجغرافية بين المضمون والفلسفة.

تعد القيمة النفعية للجغرافية بما تقدمه سابقاً وحاضراً كأداة للتفاهم البشري وفق فلسفتها التي تنبثق من جوهر مهم الا وهو " وصف الارض" مما يجعلها توصف بأنها العلم الامثل الذي اخذ على عاتقه تعريف الناس بالمحيط الطبيعي وما يتواجد عليه من البشر وفق صلتهم بهذا الموطن من خلال تسخير الامكانيات واستثمارها اي انها تعمل جاهدة الى الارتقاء بالبيئة والانسان وفق العلاقات التبادلية[3].لذا فهي كما يصفها " جمال حمدان" " وحتى ان بدت الجغرافيا على السطح علماً موسوعياً، فأنها في الجوهر وبالفعل علم ملحمي على موسوعيته، علم العالم لا علم العلوم... هي بالتعريف والتصنيف المنهجي علم مركب ثانوي لا اولي الى ابعد حد. ولكنها في جوهرها الفلسفي علم بسيط اساساً، بل بسيط للغاية...فواقع الامر ان الجغرافيا بالدرجة الاولى علم (ميتابولي metabolic) ان صح التعبير، اعني علم تشرب وهضم وتمثل ثم اعادة افراز وتشكيل وتخليق. والجغرافي بالتاليـ على اية حال قارئ كل شيء، ولكنه كاتب جغرافية فقط..."[4]. ويؤكد "هارتشورن" " وجهة نظر كل من الفيلسوف كانت والجغرافي الالماني هتنر بأن الجغرافية تختلف تماماً عن كل العلوم. وهي فريدة في منهجها لأنها تدرس الظواهر الفريدة (الاقاليم)، وهي لذلك علم وصفي اكثر مما هي علم يبحث عن القوانين..."[5]. والباحث في اصل المفهوم يجدها تعود بجذورها الاولى الى حيث وجود الانسان على الارض بينما الاصل العلمي وضع افاقه من قبل علماء اوروبا[6]. ان استعراض المفهوم الجغرافي او تتبع البعد التاريخي لنتاج الحضارات يعد قراءة في توجهات الجغرافيين في الماضي والحاضر فيما اذا اعتمدت الوصف الطبيعي وركزت جل الاهتمام فيه وكيف تقادم هذا النوع من الدراسة تجاه معرفة دور البيئة الطبيعة في تحديد ممارسات البشر وصفاتهم، وصولاً الى اعتماد الاساليب والتقانة الحديثة بغية الوصول الى النتائج.

اولاً: المفهوم الجغرافي:

وعن الفكرة الاولى لمفهوم وصف الارض فهي جاءت من قبل الاغريقي " ايراستوثين" وعدت مرحلة مهمة قدمت جملة من المعلومات المفيدة عن سطح الارض بأجزائه المختلفة ورسمت صورة عن سكان المناطق وعلاقاتهم ببيئاتهم مما ساهمت في زيادة حب الاستطلاع والتعرف على المجهول. ثم جاء كلاً من سترابو وبطليموس بمفهوم الموقع والترابط بين اجزاء سطح الارض ليشيروا الى اهمية الوصف ثم التفسير والترابط خلال دراسة الظاهرة

في المجال المكاني، لكن ما يلاحظ من اعتراض الجغرافيين على اقتصار مفهوم هذا العلم في فكرة الوصف والتفسير فقط مما جعلها مجال رحب لاستيعاب فكرة " الكم" ابان القرن السابع عشر من قبل فارينوس اي مكن الجغرافية من وصف الظاهرة لكن بطريقة كمية[7]. وبعدها انتقل المفهوم الى التركيز على الجانب الطبيعي من الجغرافية لاسيما للأبحاث التي قدمها كلاً من كانت واوسكار وبشل وديفز وغيرهم مما جعل الدراسات الجيمورفولوجية تعد فرعاً من فروع الجغرافية وبالتحديد لدى المانيا وامريكيا في ذلك الوقت من عمر الجغرافية لكن التركيز في جوهرها اهمل دراسة بعض الظواهر كونهم عدوها غير مناسبة للدراسة العلمية، حتى توصلوا الى تعريف الجغرافية علم كوكب الارض بدلاً عن وصفها وفق ما جاء به جريلاند[8]. اما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ساد مفهوم جديد لتعريف الجغرافية الا وهو " علم التوزيعات" لكن على طبيعة الحال وجه له النقد على غرار التعريفات السابقة من قبل جغرافي نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين منطلقاً من فكرة " ان الجغرافية طبقاً لهذا التعريف تهتم بتوزيع اي ظاهرة بغض النظر عن صلة تلك الظاهرة بمضمون البحث الجغرافي" والحقيقة ان هذا المفهوم مرتبط بشكل واضح بتعريفها بعلم الاختلافات المكانية او (الاقليمية) واعتمد هذا التعريف من قبل الجغرافيين لاعتقادهم بأن الاختلافات المكانية هي اساس عمل الجغرافي[9]. اما "فيدال دي لابلاش" فقد وضع تعريفاً لها " بأنها علم الاماكن وتهتم بدراسة صفات وموارد الاقطار" اي انها علم المكان او فلسفة المكان، في حين يضع برستن جيمس تعريف اخر" بأنها تهتم بتحديد الظواهر الجغرافية لإبراز الشخصية المميزة لمناطق العالم واقاليمه والتشابه والاختلاف بين اقاليم العالم"[10]. اما "كارل ساور" فأوجد تعريفاً " بأنها علم يتهم بدراسة الاختلافات الاقليمية، فهو يركز على الجغرافية الاقليمية ويهمل الجزء الاخر وهو الجغرافية الاصولية او التخصصية" في حين يشير جلبرت بأنها " فن التعرف على شخصية الاقاليم ووصفها وتفسيرها" اما هارتشون وضع مفهوم جديد عد اكثر قبولاً وهو " ان الجغرافية تهتم بتقديم وصف وتفسير علمي منظم لظواهر سطح الارض المتباينة (ظاهرات طبيعية وبشرية) واشار الى ان سطح الارض هو منطقة الالتقاء والتفاعل بين الغلاف الصخري والمائي والجوي والحيوي والبشري"[11]. ففي كتابات بعض الجغرافيين المعاصرين تجد ان المفهوم تعلق بكونها علم التنظيم المكاني وفق التحليل للأنظمة والعمليات" اي يفصح عن الجانب التطبيقي لعلم الجغرافية كونه تطبيق المنهج الجغرافي والتقنيات الحديثة للمساعدة في حل المشكلات البيئية والطبيعية والبشرية وتقديم الحلول الناجزة لها في اطار التنظيم الاقليمي(المكاني) للبيئة..."[12]. وهذا يدل على ان الجغرافية تناقلت بالمفهوم من علم وصف الارض وفق ما جاء به الاغريق الى تعريف اخر تبنى العلاقة بين الانسان والمكان لاسيما بعد ظهور نظرية دارون في منتصف القرن التاسع عشر وحقيقة الامر ان هذا التعريف ساهم في الانجراف تجاه النوع الاول من الصراعات الفكرية التي ظهرت بين مؤيدي فلسفة الحتم الطبيعي ومؤيدي الفلسفة الامكانية وتبعاً له اصبح يشترط وجود الانسان مع اي دراسة مكانية، اعقبها تعريف الجغرافية بعلم التوزيعات الا ان هذا التعريف عد مقدمة لدراسة الانماط المكانية وتحليلها وهو عمل لا يقتصر على الجغرافية، ليتصدر بعدها تعريف علم العلاقات المكانية ويسعى لكشف التبادل والتفاعل القائم بين الظاهرات وفقاً لعامل الحركة واخيراً يعتلي المنصة الجغرافية هي علم التباين المكاني ويعنى بإبراز الاختلافات والتشابهات الاقليمية(الطبيعة والبشرية) بالاعتماد على التأثير المتبادل بين الانسان وبيئته[13].

الخوض في ضمار هذا الموضوع لا ينتهي بتعريفات معينة كونها قابلة للتجديد وتتغير تبعاً لتعدد الاتجاهات التي يؤمن بها الباحثين أبان كل مرحلة من عمر الجغرافية ومدى استيعابهم لمتطلباتها مما يجعل التعريف قابل للإضافة والتجديد حتى الوقت الحاضر الا ان استعراض هذا الجانب يتعلق بمدى اثرها في فلسفة التخصص وابرز نقاط الصراع الفكري في المضمون والتوجه المعرفي لاسيما وان التعرض الى امواج متلاطمة بين الدفع صوب

الوصف واخر نحو التفسير وما تلاها من التركيز بالظاهرات الطبيعية مرة والبشرية مرةً اخرى حتى جانبت الدراسات الاقليمية، وهذا يتم مناقشته لاحقاً عبر محاور الدراسة.
ويعود بنا الى الفكرة التي جاء بها "ل. ددلي ستامب" " يجعل البعض علم الجغرافية فناً وعلماً وفلسفة في آن واحد، ولا ريب ان هذا الوضع يقلل من شأنه ويحيط من قيمته، اذ كيف يمكن لعلم واحد ان يحيط بمثل هذه الدائرة العظيمة ثم يقال عنه ان له اساساً او قواعد، او ان له كياناً ملموساً بين العلوم؟ أليس معنى هذا ان ما نسميه (علم الجغرافية) ما هو الا حلقة اتصال بين علوم مختلفة..."، لكنه بعد ان قدم استعراض وربط بين جغرافية الماضي العتيق والجغرافية الحديثة اوعز فهمه الى الاتي:

1- ان اتمام ارتياد انحاء العالم المختلفة، وجمع المعلومات الكافية التي تتعلق بها، ماهي في الحقيقة الا مبدأ الدراسة الجغرافية على اساس علمي.
2- ان تحليل هذه الحقائق وتمحيصها يجب ان يسبق اي محاولة لتطبيق العوامل الطبيعية التي لها الاثر الاكبر في تطوير اقليم من الاقاليم.

وهذا يقود الى " ان الجغرافية هي دراسة الارض، على انها مسكن للإنسان، ويمكن القول انها عبارة عن دراسة البيئة الطبيعية للجنس البشري، وليس بين العلوم ما يختص بدراسة هذه الناحية كعلم الجغرافية، فالجيولوجي يدرس الصخور التي تتركب منها القشرة الارضية، والعالم بالأرصاد الجوية يختص بدراسة احوال المناخ والجو...اما الجغرافي فيحتاج الى بعض الحقائق من كل علم بالقدر الذي يمكنه من دراسة الانسان وحياته، والدور الذي يعلبه في هذه الدنيا وذلك بشكل واضح وملموس"[14]. الا "ان جمال حمدان" اكد على حقيقة ان الجغرافية علم وفن وفلسفة لكن هي "علم بمادتها وفن بمعالجتها وفلسفة بنظراتها فهي بالحق علم تكاملي بالضرورة، بل العلم التكاملي بامتياز كونها العلم الذي يربط بين العلوم الطبيعية والاجتماعية. والجغرافية بوظيفتها الاساسية من الربط ورصد العلاقات، تخلق شيئاً جديداً بالتأكيد على مستوى الافكار والانماط. فالجغرافي قارئ كل شيء ولكنه كاتب جغرافيا فقط"[15]. ان تعددت التعريفات فالمضمون يدور حول المكان الوسط الذي يعيش عليه الانسان ويسعى جاهداً ان يكون متوافقاً مع متطلباته ضمن الامكانات المتاحة معززاً الدور المثمر لجهوده من جهة وخصائص المكان من جهة اخرى الا انه يسعى على الامد الطويل ان تكون تلك الاستثمارات وفق الاستدامة المكانية لعناصره الطبيعية، اي لأي مكان وزمان يبقى المفهوم مترابط دون امكانية الفصل فالتكامل الموضوعي يتحقق بالتبادل لا الفصل الجائر.

ثانياً- عبق الفلسفة الجغرافية ومغزاها:

يشار الى ان كل من العلم والفلسفة يعدان وحدة معرفية متكاملة اي لا يمكن فهم احدهما بصورة دقيقة من دون فهم الاخر، وان ما يؤكد تلك العلاقة المحورية ان الفلسفة كانت تطوي تحت جناحها سائر العلوم كما وتشتمل على المباحث التي من شأنها التأكيد على وحدة العلوم لأنها مترابطة واي حركة يسهم في التأثير على البقية، فهي عملت جاهدة على فهم كل ما يتعلق بدراسة الارض وبذلت بذلك جهداً كبير وفق مسار شاق انتقل من العقل الى الرموز ومن الاشياء العادية نحو القوانين اي انها شقت الطريق نحو تفسير القوانين التي يخضع لها العالم بأكمله، وهذا يدل على ان الملامح الاولى للفكر الجغرافي ابان تلك المراحل انما يعود بذاته الى " المبادئ الاساسية التي كانت تحكم ماهية الجغرافية في اطار نظرية المعرفة ذات الطبيعة الفلسفية" اي ان الفكر الجغرافي ولد من المجهول وفي خضم الظلام الحالك لكنه حدد نقطة انطلاق اكدت وعي وادراك البشرية للمكان والزمان ضمن اطار فهم ووعي الحدود في

الكـون اي مـا يـود الاشـارة لـه" مـن الصـعب ان نبـالغ فـي اهميـة تلـك الافكـار وضـروريتها للجغرافيـة الحديثـة او نقلـل منهـا وانمـا يجـب تقـديمها فـي اطـار محدوديـة الامتـداد وقلـة المعلومـات ووحـدة العلـم واندماجـه تحـت لـواء الفلسـفة ومـن ثـم يحسـب لهـؤلاء المفكـرين محـاولتهم للتوصـل الى حقائق وقواعد عامة لسطح الارض في ظل تلك الظروف"[16].

امـا العـالم " بيـت" حـدد فلسـفة الجغرافيـة بأنهـا" نسـق مـن الافكـار الخاصـة بمحتـوى العمـل الجغرافـي الـذي يطـوره الجغرافيـون مـن خـلال ممارسـاتهم الجغرافيـة بشـكل عـام" اونهـا تعنـي " ممارسـة ايديولوجيـة معينـة مـن جانـب مـن لـديهم ثقافـة فلسـفية يمارسـونها علـى مـن يظلـون او يبقـون فـي اطـار الممارسـة فقـط"[17]، وان نقـل الفلسـفة الجغرافيـة مـن نطـاق الفلسـفة الخـالص وتقريبهـا الـى النظريـة الاجتماعيـة فهـو مرهـون بطريقـة تفكيـر الجغرافـي لا غيـر، فبعـد ان كانـت تقتصـر علـى فهـم الطبيعـة فحسـب حتـى انتقلـت خـلال القـرن العشـرين الـى نشـاط علمـي وعقلـي وهنـا يشـق الفكـر الجغرافـي الحـديث بأفكـار "همبولـت وريتـر" طريقـه بعـد عصـر التنـوير ومحاولـة تفسـير المعلومـات التـي تـم جمعهـا مـن خـلال الكشـوف الجغرافيـة آنـذاك[18]. ثـم سـاد الحـتم البيئـي كمفهـوم جـوهري قضـى علـى ثنائيـة الانسـان والبيئـة كونـه نقـل الجغرافيـة نحـو البيولوجيـا التطويريـة بفضـل نظريـة" دارون" ثـم النظـرة العضـوية للمجتمـع عنـد " هربـرت سبنسـر" حتـى احـدث التحـول فـي الجغرافيـة الثقافيـة ايمانـاً بفكـرة ان التغيـرات الاجتماعيـة تتبـع التحـول الثقـافي لا الـوراثي فـالعلوم الطبيعيـة تهـتم بالتفسـير بينمـا العلـوم الاجتماعيـة تعنـى بفهـم البشـر وهـذا يحـدد ان الاسـس الفلسـفية للفكـر الجغرافـي الحـديث انمـا تخضـع لإشـكالية المعرفـة التـي تعـود لنتـاج التيـارات الفلسـفية التـي تبنتهـا المـدارس الجغرافيـة[19]. ويبقـى ضـرورة الاشـارة الـى تحديـد نـوع المحتـوى الـذي تنطلـق منـه ويرسـم حـدودها ومكانتهـا ويفرقهـا عـن بقيـة العلـوم الاخرى فهو يتحدد بجانبين هما[20]:

1- الجانـب الطبيعـي: يتوافـق مـع مـا جـاء بـه " كانـت، ريتـر، همبولـت" كـونهم نـادوا بدراسـة الظـواهر الطبيعيـة بمـنهج علمـي بحـت اي مطـابق لدراسـة الفيزيـاء والكيميـاء، لكـن ثمـة دافـع الا وهـو الارتقـاء بواقـع الجغرافيـة واحـداث الانتقالـة مـن الوصـف السـائد صـوب التحليـل القـائم علـى (السـبب والتوصـل للنتـائج) وسـبب اخـر يؤكـد الـدافع وراء الاهتمـام بالشـق الطبيعـي هـو ثبـات واسـتقرار هـذا النـوع مـن الموضـوعات كونـه يتعلـق بدراسـة(السـطح، المنـاخ وعناصـره، التربـة، موارد طبيعية...).

2- الجانـب البشـري: هنـا بـرز اخـتلاف بـين الجغـرافيين علـى محتـوى هـذا المسـار لكونـه جـاء متـأخر وكـرد فعـل للمدرسـة الحتميـة، فهـو اكثـر حركـة واقـل ثباتـاً حتـى قسـمها "فليـر" الـى (الحيـاة والحياة الجديدة والحياة الطيبة) وهذا بعيد ولا يتفق مع المحتوى الحالي للجغرافية.

ومـع ان الـبعض حـاول ان يزيـد العقـد والعقبـات فـي مسـار هـذا العلـم ويحـدد عمـر الجغرافيـة بالفنـاء دون الوصـول الـى الالمـام الكامـل بالمكـان موضـوع الدراسـة، الا ان فلسـفة الجغرافيـة تتبنـى المكـان وتحـدده ظـواهره المترابطـة بعلاقـات وثيقـة اي لـيس بالضـرورة ان يكـون الجغرافـي ملمـاً بجميـع العلـوم حتـى يـتمكن مـن دراسـة المكـان بـل عليـه فقـط فهـم العلاقـات المكانيـة ليصـل الـى حقيقيـة ينسـب الانسـان الـى مكانـه، وهـذا يعنـي كمـا ان الجغرافيـة تخطـت العقبـات الكثيـر مـن الحـتم والامكانيـة وغيرهـا يجعلهـا اليـوم تقـاوم وتواجـه العولمـة ومـا بعـدها كمـا واجهـت الحداثـة ومـا بعـدها، اي ان علـى الجغـرافيين متابعـة سـبر اغـوار هـذا العلـم لاسـيما وكونـه علـم كـوني لا حـدود لـه مـا دام هنـاك انسـان يسـعى باسـتمرار ويسـير قـدماً" ولكونهـا مجـال رحـب متطـور جـل هـذ التطـور يعكـس اضـافة قيمـة مـع ملاحظـة ان مهمـا بلغـت تبقـى فلسـفة هـذا التخصـص ورؤيتـه ضـمن حـدود المكـان[21]. ومـا يعـزز طبيعـة الجغرافيـة كونهـا متميـزة عـن بقيـة العلـوم المتخصصـة الاتي[22]:

1- انها ذات النظرة الشمولية " ينفرد بها الجغرافي في رؤية الحقائق والعلاقات مجتمعة في اطار المكان" وتعني انها قادرة على دراسة خليط من الظواهر المتنافرة بعد ان تقوم بتوليفها لتقدم صورة واضحة ومتكاملة عن المكان ويذكر " اندريه ميكيل" نصاً هنا " ان الجغرافية لا تدخل في قائمة العلوم المتخصصة بل ترتبط بها جميعاً، فهي كالنحلة التي تجني رحيقها من الزهور جميعاً انها لا تخصصية تنزع الى النظرة الكلية (الشمولية) وتمزج شتى المعارف التي ترجع الى اصول مختلفة..، ولن يستطيع سواها من العلوم ان ينازعها شرف الانفتاح على جميع المؤثرات بلا استثناء".
2- انها ذات نظرة تكاملية " تنظر الى العلاقة بين الانسان والبيئة نظرة تكاملية... ترى ان المكونات الحية وغير الحية تعمل مجتمعة كوحدة متكاملة، وفقاً لقوانين طبيعية واحيائية".

خلاصة القول ان تعقب عمر الجغرافية ومراحل التتابع العلمي للمضمون والمحتوى ومنهج الدراسة يجدها تتصدى لعقد لضرورة المواجه ومواصلة المسير ولعل التشتت الذي اصابها مرهون بفلسفة الباحثين انفسهم او تخصصاتهم في الاساس، وحتى اليوم تجد التباعد مرة والتقارب مرة اخرى من فحوى المحتوى ومسار العلم ومواكبة التغيرات الا ان من الجدير بالاعتراف ان فلسفة هذا التخصص لا تخرج عن المجال المكاني وما يحتوى من عناصر ومقومات ترتقي بعقلية الانسان خدمتاً له وضرورة ملحة في حفظ مكونات ذلك المكان دون العبث بمقدراته، لكن بصورة تفاعليه مع وجود التأثير والتأثر الذي يعزز رفاهية الوجود ويحد من شدة الصراع والمشكلات التي تواجه الانسان.

المبحث الثاني: تنامي الافكار الحتمية والامكانية.

يمكن عد المغالاة في الاهتمام في الجانب الطبيعي من الجغرافية منذ الحضارات الاولى اذ ان الافاق المبكرة للفكر الجغرافي قد اخذت دعامتين الاولى التصقت بالأرض (الجغرافية) والثانية ظلت شاخصة نحو السماء(الفلك والتنجيم) فكان الناس قديماً اكثر تأملنا بالسماء وحركة النجوم والرصد الفلكي وهذا ما اثبته ثمار الاجتهاد الفكري للحضارات القديمة فلو تأملنا جهود العراقيين القدماء تجدها انصبت حول الاهتمام بخلق الارض والسماء فيذكر بأنهم تصورا " الارض وما فيها صورة او نسخة لما في السماء فالفرات ودجلة وجميع الاراضي والبلدان وحتى المعابد صورة ثانية لأصول موجودة في السماء، كما تصورا الارض بهيئة نصف كرة مقلوبة او قبة طافية في المحيط... وان المياه الاولى كانت المادة الاولى التي ولدت منها جميع الاشياء..."[23]. اما عن المصريين فقد بنت افكارهم من خلال" ملاحظة حركة الشمس الدورية، وارتباط شروقها بيقظة الكائنات الحية بعد النوم وبالحركة بعد الخمول، والضوء بعد الظلام... وفيما يتعلق بتصورات المصريين عن شكل الارض، فقد اعتقدوا بأنها مستطيلة الشكل...كما اعتقدوا بأن الارض والسماء قد نشأتا من المحيط المائي

الازلـي، حيـث ان المـاء هـو اصـل كـل خلـق"[24]. وعـن اسـهامات الاغريـق فقـد اجتـاح تفكيـرهم العلمـي محاولـة الوصـول الـى تفسـير نشـأة الكـون فقد وضـع " ارسـطو طـاليس" نظريتـه فـي ذلـك حـين توصـل الـى ان نشـأة الكـون مـن الميـاه ...، ثـم اكمـل فيثـاغورس اهتمامـه فـي الوصـول الـى تحديـد شـكل الارض بأنـه كـروي وهـي مـن اوائـل النظريـات الهامـة، وحـدد الفيلسـوف "ارسـطو" واضـع "كتـاب السياسـة" ابـرز الادلـة التـي تؤكـد كرويتهـا[25]، كمـا اسـتخدم الموقـع الجغرافـي ليبـين بـأن الاغريـق وهـم شـعبه افضـل الشـعوب بعـد ان اجـرى مقارنـة بـين الموقـع والخصـائص الطبيعيـة للمكـان مـع خصـائص واخـلاق وعـادات وقـيم الشـعوب وكـذلك انظمـتهم السياسـية وكيـف يكـون التفاضـل بينهـا ووصـف بـان شـعبه يجمعـون فضـائل الشـعوب مـن حـب الحريـة والمهـارة واتقـان السياسـة والجـرأة ومحبـون للديمقراطيـة ليكـون اول عـالم عنصـري جسـد فـي كتاباتـه عنصـريته المفرطـة علـى اسـس حتميـة طبيعيـة [26] ويـذكر " ابقـراط" خـلال القـرن الخـامس قبـل المـيلاد فـي دراسـته الموسـومة " الاهويـة والامـواه والامـاكن"" اثـر المنـاخ فـي جسـم الانسـان والـى اخـتلاف هـذا الاثـر حسـب المنـاطق المناخيـة" وهـو بهـذا يعـد اول دراسـة فـي علـم المنـاخ الطبيعـي تناولـت اثـر المنـاخ فـي صـحة الافـراد واخلاقهـم، و ايضـاً عـن "ارسـطو" فقـد قسـم النصـف الشـمالي مـن الكـرة الارضـية الـى ثـلاث منـاطق " المنطقـة الشـمالية البـاردة وسـكانها احـرار وشـجعان، والمنطقـة الجنوبيـة الحـارة وسـكانها اذكيـاء ومهـرة الا انهـم خـاملون، والمنطقـة الوسـطى وهـي معتدلـة وسـكانها مـن الاغريـق وهـم وحـدهم الـذين يجمعـون بـين صـفات المنطقتين..."[27].

ثـم اكمـل الرومـان مـا ورثـوه مـن علـوم اليونـان الا انهـم اتبعـوا الوصـف امثـال كتـب " هيـرودوتس و سـترابو" بالاعتمـاد علـى التعليـل مـع الاعتمـاد علـى اثـر العامـل الطبيعـي فـي صـفات النـاس وعـاداتهم ونشـاطاتهم لكـونهم يرجعـون ذلـك الـى الصـفات الطبيعيـة المختلفـة الملائمـة التـي تتمتـع بهـا ايطاليـا وهـذا يحقـق نقلـة مـن النـواحي الكونيـة نحـو النـواحي الوصـفية العامـة او التفصـيلية احيانـاً والتـي مثلـت الفتـرة مـا بعـد القـرن الثالـث قبـل المـيلاد، ولكـن مـا تعرضـت لـه الإمبراطوريـة الرومانيـة خـلال سـيطرة الكنيسـة اطلـق عليهـا بـالفترة المظلمـة اذ سـادت سـيطرة العامـل الـديني علـى الفكـر البشـري ومـا وضـع مـن نتـاج اتصـف بأنـه يجتـر ويلـوك الافكـار القديمـة نفسـها التـي سـادت خـلال عهـد الجغرافيـة الكلاسـيكية[28]. لكـن مـع حالـة التراجـع التـي شـهدتها الحضـارات الغربيـة تجـد ان الفكـر الجغرافـي العربـي الاسـلامي يشـهد حالـة التقـادم ونضـج وتصـاعد النتـاج المعرفـي والـذي اسـتمد مـن ترجمـة نتـاج السـابقين وكـذلك معـارف حضـارة عـرب قبـل الاسـلام التـي تمثلـت فـي الشـعر والـذي بـدوره احتـوى اشـارات للأنهـار والجبـار والاوديـة وحتـى المراعـي والامطـار والمسـاكن فـي شـبه الجزيـرة العربيـة [29]. يتضـح ان تـأثر الفكـر العربـي بمـا وجـدوه مـن نتـاج الغـرب بعـد الترجمـة فـي تقفـي الاثـر فـي تفسـير اثـر العامـل الطبيعـي فـي صـفات السـكان ونشـاطاتهم ويتضـح ممـا اورده فـي نصـوص مؤلفـاتهم ومنهـا علـى سـبيل المثـال لا الحصـر مـا اشـار لـه "المسـعودي" يفـرق بـين الاجنـاس المتـأثرة فـي الحـرارة " فأمـا علـة تشـابه صـور التـرك فأنـه لمـا اسـتوى هـواء بلـدانهم فـي البـرد اسـتوت صـورهم وتشـابهت، وكـذلك اهـل مصـر لمـا اسـتوت اهـوائهم تشـابهت صـورهم، ولمـا كـان الغالـب علـى هـواء التـرك البـرد وعجـزت الحـرارة عـن تنشـيف رطوبـات ابـدانهم كثـرت شـحومهم ولا نـت ابـدانهم وتشـبه بالنسـاء فـي كثيـر مـن اخلاقهـم..."[30]. وعـن "الادريسـي" يـذكر" وهـذه البـلاد كثيـرة الحـرة حاميـة جـدا ولـذلك اهـل هـذا الاقلـيم الاول والثـاني وبعـض الثالـث لشـدة الحـر واحتـراق الشـمس لهـم كانـت

الوانهم سوداء وشعورهم متفلفلة بضد الوان اهل الاقليم السادس والسابع"[31]. وهنا يبين اثر الحرارة في الوان البشرة تبعاً للموقع. ويمكن عد ابن خلدون من غلاة الحتميين عندما تحدث عن اثر الهواء في الوان البشر واخلاقهم " الاقليم الرابع اعدل العمران والذي حافاته من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال ...سكانها من البشر اعدل اجساماً والواناً واخلاقاً واديانـاً..."[32]. وعن العصر الحديث للجغرافية فقد ضمت نتاجاتهم الكثير من هذه الموضوعات امثال " لفريدريك لبلاي ، دكستر ، وهنتغتون ، راتزل ، ومو نتسكيو" اراء عدة في هذا الشأن كونها تفسر نشاطات البشر عاداتهم صفاتهم تخضع لعوامل الطبيعة [33]. وهنا تدرك عاملين اساسين من تنامي افكار الحتم وتصاعد جبهة الاثر الطبيعي الاول يعود لكون العناية المبالغة في محاولة فهم الجانب الطبيعي ودوره الكبير في تنظيم حياة الانسان كما برز في الحضارات القديمة اما العامل الثاني فيتعلق بتفسير سلوك الانسان ونشاطاته من خلال اثر البيئة. اما الجغرافية الحديثة فقد اخذت صفة العلم مع نهاية (القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، وذلك بعد ان قطعت قروناً عدة وهي تعتمد اشتاتاً من الحقائق والمعارف ذات الطابع الوصفي دون الوحدة والتجانس، حتى شهدت تطوراً ملحوظاً في موضوعاتها كماً ونوعاً، اذ طرحت موضوعات تعلقت بماهية هذا التخصص وهدفه ومفهوم الوحدة الطبيعية وكذلك الحدود الطبيعية، توافق هذا التطور بما اغناها من معلومات كشفية قدمتها الكشوف الجغرافية وبما نهلت الحضارة العربية الاسلامية من نتاج قيم ولا ننسى ان جل تلك الخطوات المتقادمة ارسى قواعدها الالمان و لاسيما العالمين " الكسندر فون همبولت وكارل ريتر" اللذان طورا الافكار والمفاهيم الحديثة وتركا اثراً حاسماً في تطوير الفكر الجغرافي الحديث وفق منهج التجريب والاستقراء[34]. ولعلنا نتناول فكرة الازدواجية التي جاءت منطلقاتها ما بعد هذين العالمين الا اننا لا نريد الخوض في ضمار مجمل التفاصيل كونها عدت من قبل الباحثة ضمن بحثاً منفصلاً. لذا لنقف على الاسس الجوهرية في تباين الافكار لعلها تنشر الضياء في فهم حيثيات وفحوى المقصود. ان كان ما نادى به "همبولت" يقف اساساً حول الاهتمام بالجغرافية العامة وحصر توجهاته نحو الشق الطبيعي، تجد ان ابرز ما تبنى افكار "ريتر" هو الدراسات الخاصة (الانماط الرئيسية للتشكيل الطبيعي) فهو استند على المظاهر غير الطبيعية كوسيلة لدراساته الانسانية و اشار الى ضرورة التنظيم الاقليمي للجغرافية وفسر ما جاء به سابقه من دراسات عامه ما هي الا فصل ذاتي للظاهرات الطبيعية المترابطة وهذ تشويه للعلاقات المترابطة بين الظاهرات الطبيعية، كما ويعزز اهتمامه بالدراسات الاقليمية، وان ما دعا له من دراسة منفردة للظاهرة لأجل معرفة مزاياها وخصائصها كما ويؤكد "ريتر" على ضرورة وحدة الطبيعة وفق الاطار المكاني مما يعطي لكل جزء شخصيته الفردية وهذا يحدد سمتين في كتاباته الاولى مكانية تتمثل في تصوير المكان وشرح تركيبه لان يفهم ان هدف الجغرافية فهم وتفسير الاختلاف المكاني لسطح الارض اما السمة الثانية تتمثل في فهم الجغرافية كبيئة تدرس العلاقة بين الانسان والمكان وهي الوجه الغائية، وبالعود الى "همبولت" ان الجغرافي لا يدرس الظاهرات منفردة ومستقلة عن غيرها بل هي علاقة تأثير وتأثر، لأنه يؤمن بوحدة الطبيعة اي الترابط العضوي لجميع ظاهرات سطح

الارض[35]، ولعل السبب في ظهور الازدواجية الجغرافية يعود الى الفصل بين الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة وفق ما سار من اتجاهين مختلفين للدراسة خلال تلك الفترة من عمر التفكير الجغرافي. اما بعد وفاة " همبولت وريتر" تعرض افكارهم لسوء فهم حتى عدت هذه المرحلة حرجة للميدان تطور الفكر الجغرافي الحديث لا سيما وان هذه الفترة شهدت ميلاد افكار جديدة انحازت نحو تطبيق القوانين لذا فأن الانجاز الفكري خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر انعكس فيه تقسيم للجغرافية طبيعي واخر بشري لكن لم يكن بالصورة الواضحة لان الدراسات تنوعت بين الجغرافية الطبيعية التي ركزت على مجموعة العناصر الطبيعية فترى الارض وحدة واحدة، والجغرافية الاقليمية البشرية التي تختص بالإنسان وما يمارسه من نشاط على المسرح الارضي[36].

كما و يعزى التحول الذي طرأ على الفكر الجغرافي حينها الى اعمال كلاً من " اوسكار بشل" و "فرد يناند ريختهوفن" وعلى وجه الخصوص سلسلة المقالات التي نشرها "بشل" عام 1866م التي عدت توجه جديد درس فيها مورفولوجية اشكال سطح الارض ووجه تلاميذه نحو هذا التخصص الذي اقتصرت عليه سنوات عمله من ميدان الجغرافية مع الالمام بدراسة "اثر اشكال سطح الارض على التاريخ البشري" وعلى ضوء ذلك عد الزعيم الاكاديمي خلال تلك الفترة اذ اسهم في تنامي الفكر الجغرافي وارساء قواعد الجغرافية الطبيعية بعد ان سار على المنهج المقارن، لذا يقال عنه بأنه اخر جغرافي عظيم قبل ان تخضع الجغرافية للأفكار الدارونية وفلسفتها المقيتة، في الوقت ذاته يمكن الاعتراف بأنه اول من صرح بالازدواجية الجغرافية فوفقاً لدراساته تجده يركز على الجانب الطبيعي مستبعداً الانسان، بالرغم من اجرائه تحريات جادة عن الجنس البشري وثقافاتهم، وبعد وفاته حمل لواء افكاره تلاميذه واهم " ريختهوفن" ومن بعده في المانيا تلميذه "بنك" وفي امريكا " وليم موريس ديفز" حتى ظلت الدراسات الجيمورفولوجية هي السائدة لسنوات طويلة في تلك الدول وبالرغم من تنامي الدراسات الطبيعية ذات الارتباط بالأرض، الا ان هناك دراسات تناولت الجانب البشري مثل الاثنوجرافيا و استخدامات الارض الزراعية والتجارة والنقل تناولها بالدراسة "ريختهوفن" لكن وفق علاقتها بأشكال سطح الارض عندما بحث عن كل من " الصين وكاليفورينا" عن طريق الدراسة الاقليمية[37]. ومن الملاحظ ان الادب الجغرافي الالماني ارسيت قواعده من قبل جيولوجيين في الاصل وما سادت من دراسات تخص الجيومرفولوجية جعل هذا التخصص يأخذ مكانة مهمة في المانيا، في حين بقية مكانتها متأرجحة في الولايات المتحدة الامريكية بين الجغرافية والجيولوجيا[38]. وبالرغم من الدور العظيم الذي قام به "بشل" الا انه فتح الباب على مصراعيه لتبني صراع من نوع جديد قد يكون من غير القصد حين اكد على دراسة الارض دراسة علمية طبيعية فقط وهذا يعني " انه قد اعترض بشكل غير مباشر على قاعدة جغرافية كانت قد اكدت على تقسيم الجغرافية الى شقين متكاملين شق طبيعي يهتم بدراسة الواقع الجغرافي الطبيعي في جانب وشق بشري يهتم بدراسة الواقع الجغرافي البشري في جانب اخر" وبالرغم من ان هذا الاتجاه قد اخذ بالتصاعد لكنه لم يصل الى مرحلة المساس بالتقسيم الموضوعي بين جانبي الجغرافية، لكن المؤكد هو مهد الطريق "لجريلاند" هذا التطرف ليعلن استبعاد دراسة الانسان بشكل كامل وهذا خلل يهدد اسس البناء القائم للجغرافية الحديثة ومسيرة الفكر الجغرافي، حتى تمكن " فردريك راتزل" من انقاذ الاجتهاد الجغرافي الالماني من التشتت والضياع بعد ان كادت الجغرافية ان

تضل الطريق وانتشال الجغرافية من التعصب والجدال[39]. ومن خلال الاعمال الفكرية التي انتجها تمكن من اعادة الاعتبار للجغرافية فتأثره بنظرية (دارون) التطورية اذ كانت عاملاً مباشراً لفهم العلاقة بين سطح الارض والانسان من منظور شمولي ومهدت الطريق امامه لإنجاز مشروعه العلمي ليتمكن من ابداع توجهاته الجديدة بحيث اكد على اهمية الجغرافية البشرية وتفاعلها مع المعطيات الطبيعية وافلح في ذلك اي الجمع بين هذين التخصصين وهذا ما اكدته دراساته في كتابه (الجغرافية البشرية) عندما نظر الى الحقائق الانسانية على الارض كجغرافي، و(علوم الانسان) الذي تناول بجزيئه توزيع البشر على سطح الارض ثم التوزيع الفعلي للهجرات البشرية عَد حدث مهم في تاريخ الجغرافية وله اثر مباشر على التطور المنهجي للجغرافية[40] . ثم كتابه (الارض والحياة علم الارض المقارن) اشار فيه الى العلاقة بين الظواهر القائمة على سطح الارض كونها تعد وحدة متفاعلة وان الانسان بنظره ما هو الا الناتج الاخير للتطور باعتباره عملية اساسها قائم وفق الاختيار الطبيعي وقدرتها للملائمة الطبيعية.[41] وتأسيسه لفرع جديد (الجغرافية السياسية) مما ترك بصمات واضحة في الفكر الجغرافي العالمي وتأثرت به بقية المدارس الجغرافية مما حقق توازن موضوعي بين حقلي الجغرافي الطبيعي والبشري بعد ان انتشل الشق البشري من خلف الكواليس[42]. وعلى الرغم من اهتمام " راتزل" بملاحظة جميع العلاقات المكانية اثناء دراسته التفسيرات الجغرافية في نظره تعتمد اساس قوى البيئة، الا ان طلبته اكدوا على الناحية البيئية بحماس كبير امثال " مس سامبل" حين اعادة نص معلمها في كتابها" تأثيرات البيئة الجغرافية على اساس نظام راتزل في جغرافية الاجناس" بالنص " ان الانسان عبارة عن حصيلة سطح الارض وهذا يعني بان الانسان ليس طفل فقط بل ان الارض قد تبنته واوكلت اليه بالواجبات ووجهت افكاره واعطته بعض المشاكل..." ومن ثم " الاستاذ هنتكتن" حين اشار الى دور المناخ الكبير في حياة السكان[43] وبالتالي يكونوا قد بالغوا في اعتماد الشق الطبيعي في دراساتهم واهملوا الشق البشري. وحقيقة الامر ان المغالين في الحتم لم يستطيعوا اغماض اعينهم عن اثر الانسان في الوسط البيئي فسجلوا تراجع ملحوظ ضمن افكار مدرسة الحتم الجديد ويبرز اهم روادها "كرفت تايلور" وتؤمن بأن بالفكرة القائمة على اساس ان البيئة تسمح او تمنع الانسان من استغلالها، كما هو الحال عند منع او السماح لحركة المرور([44]).

سرعان ما جاء الرد من قبل الامكانيين ومنهم " فيدال دي لابلاش" الذي طور المفهوم بعد ان استخدمه للمرة الاولى " لوسيان فيفر" ويؤمن الاول " من اجل ان نفهم العلاقة بين الانسان وبيئته بشكل كامل فلا بد لنا من ان نأخذ كل جزء من اجزاء بيئته" كما ويعتقد الامكانيين بنشاط الانسان وعمله هو بداية الدراسات الجغرافية في وجهة نظرهم[45]. فيشير "لوسيان فيفر" " الانسان عامل جغرافي، بل انه ليس اقل العوامل الجغرافية شأنا، وفي كل مكان يساهم الانسان بنصيب في تغيير وجه الارض فيكسبه ملامح جديدة، وهي المهمة التي يجب على الجغرافيا ان تدرسها..." لكنه في الوقت ذاته يؤكد على " ان الجغرافيا تبحث في نظم الطبيعة وفي مجموعات في الغطاء النباتي وفي اسرات الحيوان وفي المجتمعات الانسانية

فالإنسان تجريد غامض والانسانية تعبير فضفاض والدولة ليست الا مظهراً واحداً من مظاهر المجتمع ولا تظهر لنا علاقات الارض بالإنسان الا بطريقة جماعية"[46]. اما " لابلاش" "يرى ان الانسان نشيط ايجابي وسلبي ولنشاطاته فاعلية على معالم سطح الارض فقد زرع النبات واستأنس الحيوانات وحرر الطاقة واطلقها من عقالها وهو يعتقد ان الانسان عامل جغرافي مؤثر على سطح الارض"[47]. ثم يذكر " ان الانسان عنده من القوة ما يمكنه من ان يشكل نفسه تبعاً للظروف الطبيعية، بل ويشكل ويغير في نفس البيئة التي يعيش فيها، وعلى ذلك ففكرة تحكم البيئة الطبيعية يجب تعديلها وابدالها ما يسمى (تأثير البيئة الجغرافية) بها بعد ان اعترفنا بوجود التأثير المتبادل بين الانسان والبيئة الطبيعية"[48] حتى وصل المفهوم الى ما ذكره "روجر منشل" بقوله " البيئة الطبيعية ليست اكثر من مرشد للإنسان وانه ليس في البيئة شيء مطلق او نهائي او حتمي او ضروري بالنسبة للإنسان باستثناء القوانين العامة والشروط الاساسية التي تحدد الضوابط والحدود التي يمكن له ان يعيش داخلها وان يقوم بنشاطه فيها" وهذه الاتجاه لا ينكر اثر البيئة ولكنه يرفض ان تكون العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة حتمية ونهائية[49]. اما " جان برون" من اشهر الجغرافيين الفرنسين الامكانيين وجاءت مؤلفاته بعنوان (الجغرافية الفرنسية) وعرفها " بأنها الظاهرة البشرية التي ارتبطت بالأرض والتي تعتبر من الطبيعة في نفس الوقت الذي تأثر فيه بالطبيعة او تقع تحت سيطرتها"[50]. والحقيقية ان ما نادى به الامكانيين لم يقتصر في فرنسا فحسب بل امتد الى المدرستين البريطانية والامريكية والاشد تحمساً لها هم "روكسبي البريطاني والامريكي بومان" واعتبروا العوامل البشرية محددات فعالة لها تأثيرها القوي على عناصر البيئة الطبيعية ولم يقفوا عند ذلك بل عدو كل من يجرؤ على ذكر مصطلح البيئة بأنه حتمي[51]. ان تدارك مسار التحول في الدراسات الجغرافية واهتمام الباحثين السابقين وميولهم في التوجه يدخل هذا العلم في ضياع وتراجع واضح ويزيد في التعثر، بدلاً من الاحتواء والمعالجة، اذ يلحظ اثر الازدواجية واضح بعد ان خرج من تداعيات فلسفتي الحتم والامكانية.

المبحث الثالث: الثنائية بمواجهة (علم المكان الجغرافية).

اولاً- الثنائية الطبيعية والبشرية.

الثنائية تعني " حالة الانقسام في اي مجال معرفي اي موقفين متناقضين مفاهيمياً، وهي من المشكلات المنهجية ففي العصور الوسطى للتاريخ الجغرافي ركز علماء اليونان مثل ارسطو وهيرودت وهيكاتيوس على الجغرافية الطبيعية في حين ركز علماء الرومان مثل سترابو على الجغرافية الاقليمية بينما شدد بطليموس على الجغرافية الرياضية في حين اهتم علماء العرب مثل المسعودي والبيروني والادريسي على اهمية البيئة الطبيعية"[52] ان الاعتقاد بهيمنة الجانب الطبيعي كان راسخ في اعماق المفكرين وزاد منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ربما مخرجات هذه الحقبة تخرج لنا بنوع من الصراع الفكري وشكل من اشكال الازدواجية في الجغرافية منها بين الجغرافية العامة والجغرافية الاقليمية وكذلك الانشطار بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية، وبمرور الايام اتسعت شقة الخلاف وزاد الانقسام كادت الدعوات تصل الى ضرورة ان يكون لكل قسم مناهجه واهدافه واساليبه وهذا يقود الى ضياع وحدة العلم وغياب شخصيته وهويته المستقلة، ولوحظ ان البعض دعا الى ان تكون الجغرافية ضمن مجموعة علوم الارض واخرين دعوها تنضم مع العلوم

الاجتماعية حتى تجدها تتبع كلية العلوم كما في بعض الجامعات الاجنبية واخرى مع كلية الآداب وسبب ذلك يعود بلا شك لمحاولات عديدة لفصل العوامل الطبيعية عن العوامل البشرية[53]. ان التقسيم المفتعل لعلم الجغرافية هو خطر حقيقي وان مثل هذا التفريق هو الشيء الذي وجدت الجغرافية لعلاجه ويتعارض مع غايتها الاساس في الربط بين المظاهر الطبيعية والبشرية، وبالتالي هو تمييز لما هو متلاحم ومترابط وبالتالي يتنافى مع النظرة الشمولية والتكاملية التي تدعو لها فلسفتها فالتقسيم يمكن اعتماده للدراسة والبحث والتحليل " لان الجغرافية كالعملة لها وجهان اذا مسح احدهما فقدت العملة قيمتها" اما " دولا بلاش" يذكر الجغرافية بانها "فن عدم فصل ما وصلت الطبيعة" فهي ذات نظرة تركيبية لا تخصصية وليست تحليلية كونها تصل ما فصلته التخصصات الاكاديمية ثم يؤكد " لا بلاش" على حقيقة " لا سبيل الى وحدة الجغرافية بغير الاساس الاقليمي"[54]. ان تقسيم المظاهر الى طبيعية وبشرية ما هو الا تقسيم نظري خال من اي اساس عملي، لان العوامل الطبيعية ترتبط باللاندسكيب الطبيعي حتى قبل وجود الانسان على سطح المعمورة ولكن مع تواجده احدث تغيرات عديدة لمعالمها الطبيعية مما جعل فكرة اللاندسكيب مجرد نظرية صرفة بعديدة عن الواقع، وان مجمل تلك العوامل متشابكة في الوحدة المكانية لا يمكن الفصل فيما بينها لأنها تولد المشكلات، والمظهر الذي نعتقد كونه طبيعي هو بالأساس نتاج الطبيعية والانسان وكذلك الحال مع المظهر البشري، وان من يؤمن بفكرة الفصل من الجغرافيين ويدرسون المظهر الطبيعي بمعزل عن الانسان او المظهر البشري بمعزل عن الطبيعة ان هذه الدراسات لا يمكن ان تنطبق الا بالعودة الى ما قبل وجود الانسان على الارض كما اشار الى ذلك " ريتر" " فالإنسان على حد قول ريتر من الارض وكل عمل مادي يقوم به الانسان مهما كان نوعه او شكله بيتاً او مزرعة او مدينة...الخ ما هو الا عنصر من العناصر المكونة للبيئة الطبيعية والحضرية والانسان كما يقول " هتنر" لا يمكن فصله عن الطبيعة فهو جزء هام من الوحدة المركبة والمكونة لخصائص المكان"[55]. ان المفهوم الطبيعي للجغرافية استخدم سابقاً من قبل " فارينيوس" و"كانت" وحتى " همبولت و ريتر" لكن يختلف عما جاء به الجغرافيين بعدهم واشار لها " همبولت" " ان كلمة طبيعي استخدمت لإيجاد علم له قوانين مثل الفيزياء وان الجغرافية الطبيعية كانت تقابل الجغرافية العامة لفارينيوس والتي تسمى اليوم بالجغرافية المنهجية وقال بأن المشكلة الكبرى للجغرافية الطبيعية استخدام مصطلح فيزياء العالم – تحديد قوانين العلاقات والروابط الابدية التي تربط ظاهرات الحياة بظاهرات الطبيعة غير الحية" وان دراساتهم تشمل الانسان كعامل اساس في الطبيعة[56]. تفاقم المفهوم البيئي في دراسات الجغرافيين يعود الى ظهور النظرية الدارونية عام 1859 (نظرية الانتخاب الطبيعي البقاء للأقوى للأصلح)(النشوء والارتقاء) من قبل " تشارليز داروين" في كتابه (اصل الانواع) ففي المجال الجغرافي خلق هذا الكتاب نواة المبدأ القوى الوضاء القائل بأن " نبات الارض وحيوانها، والانسان نفسه، تتكيف تكيفاً له مغزاه ببيئاتها الطبيعية بل تتحد معها اتحاداً سببياً لا انفصام فيه"[57]. اذ لوحت هذه النظرية للجغرافيين كغيرهم من المتخصصين في العلوم الاخرى بالاعتماد على الطبيعية كعامل حاسم في توزيع وتفسير الظاهرات المتنوعة، ثم

يضيف عليها ما توصل اليه " تشارليز لايل" الذي ركز على دراسة اشكال سطح الارض بأهمية متزايدة يعود السبب في ذلك للشروحات التفصيلية التي قدمها عن كيفية تكوينها وتطورها، وهذا زاد الثقل في الاعتناء بالدراسات الطبيعية حتى صب الاهتمام بالجانب الطبيعي كالأنواء الجوية وعلم النبات ثم اصبح للجيولوجيا شأن خاص في الدراسات الجغرافية[58]. حتى ظهرت نظريات وفروع من المعرفة تستند في الاساس على الدارونية منها ما جاء به " هيكل" " Ecology" هذا النوع من الدراسة استقطب المتخصصين ايضاً ومنهم الجغرافيين كونه يبحث في تكيف الكائنات العضوية للبيئة الطبيعية لا سيما وان الجغرافيين يعتبرون الانسان كائن عضوي يتكيف مع الظروف البيئية السائدة مما جعل تعريف الجغرافية وفقاً لمتطلبات تلك الفترة يعني " موضوع الجغرافية بانه علم دراسة تكيف الانسان لعوامل البيئة" او كما سميه " Human Ecology"، ولم يقتصر اثر الدارونية عند ذلك فنجد ما استحدثه " وليم موريس ديفز" نظرية " دورة الاشكال السطحية" واضعاً لمراحل تطورها اسماء مشابهة لما موجود في دورة الكائنات الحية[59]. لكن الامر لم يقتصر على ذلك فتجده يزداد صعوبة لمغالاة علماء الاجتماع في محاولة ربط الحوادث الطبيعية في تفسير السلوك البشري حتى ان بعض الدراسات حاولت وضع مقاييس لذلك فكانوا يعتقدون بوجود رابط بين تصاعد حالات الاجرام او الانتحار بظاهرات المد والجزر او فصول السنة او البقعة الشمسية اي تفسير على اثر القانون الطبيعي في مصير الانسان، ولم يختلف علماء التاريخ في الاخذ بالجانب الطبيعي كفلسفة لمعرفة اثر الطبيعية في تسجيل حوادث البشر او في سلوكياتهم كما هو الحال ما جاء به " بكل" المؤرخ التاريخي في كتابه " تاريخ الحضارة في بريطانيا" الذي اعطى منزلة مهمة للعوامل الطبيعة في تحليل الحوادث[60]. ويبقى السبب الاساسي في هذا التصعيد هو انحراف تيارات الفكر الجغرافي الحديث بعد وفاة كل من " همبولت وريتر" وعدم وجود علماء من يحمل رسالتهم من جهة وعدم وضوح الاطار العام لفلسفتهم من جهة اخرى لاسيما "همبولت" اذ لم يكن استاذ جامعي اما "رتر" كان قد تقلد كرسي التدريس في الجامعات الالمانية والاكاديمية العسكرية لكن بعد وفاته بقي مكانه شاغرا لثلاث سنوات ومن جاء من بعد هو " اليزيه ركلو" وهو مولعاً بالدراسات الطبيعية[61].

وهذا يعني ان الثنائية الجغرافية ظهرت الى الوجود مع بداية النظر الى ما هو طبيعي وما هو بشري من مظاهر يهتم بدراستها المجال المكاني فنشطر هذا التخصص الى (علم مكان طبيعي) و (علم مكان انساني)، الاحرى هذا العلم لا يقبل ان ينشطر الى جانبين كونه يجد ان دراسة اي جزئية على سطحه مرهونة بدراسة الانسان فيه والعكس صحيح، فالدراسات الطبيعية تتولى مختلف الظواهر وكلاً منها يحقق علاقة بالإنسان بطريقة مباشرة او غير مباشرة، لان الانسان بمقدراته العقلية والابداعية مكنته من الاستغلال والاستثمار لمكونات ذلك المكان وطاقاته الكامنة، حتى ان " هارتشورن" وصف عملية الفصل الكامل بين الانسان والطبيعة على النحو الاتي "ان محاولة الفصل بين دراسة الانسان ودراسة البيئة محاولة الاتيان بجريمة قتل علمية"[62].

وان اغلب الباحثين الجغرافيين يعدون هذا التقسيم غير مقبول ولا اساس له لكن من الممكن ربط حدوثه بالتطور التاريخي لهذا العلم وكما اسلفنا في المحور السابق. وبالرغم من رفض " هارتشورن" للثنائية الجغرافية لكن نجده يعود بوضع تعليلاً لاعتمادها بحد قوله انها ضرورة لتقليل الجهود المبذولة في البحث والتقصي الجغرافي، وان ليس بالضرورة دراسة

العالم ككل مكانياً بل من الممكن تحديد جزء من هذا العالم وتناوله بصوره تفصيلية[63]. وقد ذكر "الدكتور شريف محمد شريف" في كتابه(تطور الفكر الجغرافي) " كان يظن من قبل ان الجغرافيا تنقسم قسمين هما الجغرافية الطبيعية والجغرافيا البشرية، حتى لطالما سمعنا عن ثنائية التفكير في علم الجغرافيا. غير ان الواقع يخالف ذلك ويأباه، لأن الجغرافيا التي من شأنها ان توحد بين مختلف الظاهرات في المكان من وجهة نظر الانسان لا يمكن ان يقبل هذا الانقسام، وانما ذلك لا يعدو ان يكون مجرد مظهرين لشيء واحد احداهما بالنسبة للأخر كالأساس بالنسبة للبيان الشامخ، فلا جغرافيا بشرية بغير اساس طبيعي على ان المظهر البشري للجغرافيا يشمل كل ما هو متصل بالنشاط الانساني كالجغرافية الاجتماعية، والجغرافيا الاقتصادية، والجغرافيا السياسية، وجغرافية السلالات البشرية بناء على ذلك قد يكون اقرب التعريفات الى الواقع بل واكثرها صدقاً وصواباً ان " الجغرافيا هي العلم الذي يدرس الارض بوصفها وطناً للإنسان مع الاهتمام بإبراز اثر التفاعل المتبادل بين البيئة والانسان حين دراسة الاختلافات الاقليمية" على ان اسلوب الدراسة الجغرافية انما يعتمد اساسا على عناصر ثلاثة هي التوزيع والربط والتعليل، كما ان الوسيلة الفعالة في الدراسات الجغرافية انما هي الخريطة ولذلك ارتبط علم الجغرافية بفن الخرائط "[64]. وبالرغم من شيوع الازدواجية و توجه الدراسات في بعض البلدان صوب الجانب الطبيعي كما هو الحال في بريطانيا بينما ركزت الدراسة على الجانب البشري كما هو الحال في الولايات المتحدة تجد في السويد اخذت المجلة الجغرافية تنشر دراساتها بسلسلتين منفصلتين احداهما للدراسات الطبيعية والاخرى للدراسات البشرية، ومع بداية القرن العشرين اتسعت دائرة المناقشات في هذا الجانب وارتفعت الاصوات المعارضة للحتم البيئي والثنائية الجغرافية حتى ظهرت المدارس المتعددة في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية لتعارض الآراء السابقة نتج عنها ظهور المدرسة الجغرافية المادية في البلدان الاشتراكية التي تبنت المجال الاقتصادي في البيئة ونشاط الانسان في ذلك[65]. وحتى الوقت الحاضر تجد هناك البعض من الجغرافيين يميل الى التعامل مع الجغرافية بشقين سواء بحجة الجغرافية اكثر علمية من التخصصات الاخرى او رغبتهم في ايجاد علاقة متميزة مع العلوم الاخرى وغيرها لكن جل تلك الثنائيات هي مضعفة للجغرافية كونها علم متنوع ووحدته تكمن في هذا التنوع او التباين، وان هذه الفجوة هي صنيعة الانسان نفسه لا جود لها في الواقع اي لا اساس منطقي[66].

ثانياً- وحدة علم المكان وتجاوز ازمة الثنائية

تعرضت الجغرافية الى نقد لاذع وتهم موجه عديدة ارتبطت على حد ما ذكر" هيلدبرت ازنار" في كتابه الحيز الجغرافي حين لخصها " يأخذ عليها بقاءها علماً وصفياً بالدرجة الاولى بعيدة عن الشرح او التفسير العلمي، واولئك يغمزون من طرائقها وعدم ثقتها واطمئنانها لتلك الطرائق، واخرون يلمحون الى افتقارها لموضوع اختصاص وحقل عمل يتمتعان بالاعتراف الكلي من قبل الجميع. ولكن الم تترسخ الجغرافية العلمية عن طريق الفتوحات بأنواعها وبفضل البعثات التي استهدفت الاضافة الى الاصقاع النائية غير الاهلة

بالسكان مناطق اخرى قريبة تنعم بالحضارة وبالعمران البشري"،[67] ولم يقتصر عند ذلك فحسب بل هي تدخل معترك التفرد و الانحياز بين حقليها. لاشك ان الشيء الذي يهم الجغرافي المحترف هو "النمط و الصفة" وهما الجوهريان لسطح الارض ويعنى بهما (الاماكن والمناطق) والاختلافات العظيمة بينهما اذ تتعلق المشكلة الجغرافية في اصلها في كيف ولماذا تختلف اجزاء سطح الارض عن بعضها وهذا يتطلب تصنيف ولابد ان نستفيد من العلوم الطبيعية ويبقى اهم عامل في الاختلاف هو الانسان نفسه كونه السبب في اختلاف الريف عن المدن ومناطق الزراعة عن الاستبس وغيرها، وهذا لا يعني القول بأن الاولوية الارض والانسان متساوية وصواباً يمكن القول " ان الجزء الانساني يعتبر من احد الوجوه اهم جزء في الجغرافيا اذ بدونه يفقد الموضوع دوره الرئيس ولكن الشيء الذي لا يقل عن ذلك صواباً هو ان اساس الموضوع يقوم على الجانب الطبيعي وان الاساس كما هي الحال في اي مبنى يأتي اولاً مهما كانت ضخامة البناء. وقد يبدو هذا حقيقة لا مراء فيها ومع ذلك فهو يحتاج للتوكيد " [68]، ولهذا تجد "ولدرج" يشير الى الجغرافية الطبيعة الاساس والجغرافية البشرية تنقصها القواعد العامة بالرغم من دراسة" جين برين" وكذلك كتاب " عناصر علم الجغرافيا" لكلاً من " فنش وتروارذا" وهو مدخل عظيم الفائدة يخصصان فيه 560 صفحة (لعناصر الطبيعة البيئية) و (30) صفحة (للعناصر الحضارية البيئية) ويقصد بها عناصر تنتج عن استعمال الانسان للأرض وهذا ادل شيء على رفض التقسيم[69] . فعلم المكان واحد وان تفرع الى شقين طبيعي وبشري لان اصل طبيعته واحدة وهذه الوحدة جدلية دعت لها العديد من الدول مثل الجغرافية الروسية حينها وضع" انوجين" في مؤلفه " المشاكل النظرية في الجغرافيا والذي قدمه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لينينكراد عام 1960م" الذي قدم فيه شرح تفصيلي لتطور الافكار الروسية ونادى بضرورة الاهتمام بدراسة الاقاليم وفق الاطار الشمولي وانه يؤمن بأن وحدة المكان بوحدة الطبيعة والمجتمع مما ينبغي على المتخصصين المكانيين بدراسة الطبيعة وعلاقتها الانسانية مرة واحدة[70]. وعن الجغرافي الفرنسي" جورج برتاند" يقول" من غير الجائز التضحية بالجغرافية الطبيعية لان ذلك من شأنه ان يفقد الجغرافية وحدتها وتمايزها عن سائر العلوم الاجتماعية الانسانية لذلك صاغ نظريته المتمثلة بالمنظومة الجغرافية في نهاية الستينات وبداية السبعينات وحاول فيها الجمع بين ما هو طبيعي وبشري في بنية جغرافية متكاملة" اي انه يؤمن ان البنية الجغرافية تتحقق بتكامل الشقين الطبيعي والبشري[71]. وبالعودة للمدرسة الجغرافية الامريكية التي تجلت ملامحها في نتاج كلاً من " هارتشون، رسل سمث، بوستن جيمس" الا ان الاخير تنضج كتاباته بالتأكيد على وحدة المكان، فيما اكد " فنمن" على وحدة المكان ايضاً وضرورة تفرعه الى جغرافية تربة وجغرافية زراعة وهكذا لأنه يجد المتخصص بها اكثر معرفة من غيره من وجهة نظره ان علم المكان يحافظ على تكامل شخصيته من خلال دراسة الاقاليم اي جغرافية الاقاليم او علم المكان الاقليمي وكذلك الحال مع " داونت وتلزي" امن بوحدة المكان ولكن وفق الاقليم الشامل ويكون عن طريق انتقاء اقليم معين ودراسته بصورة تحليلية ومن جميع الجوانب، اما الجغرافية الالمانية يتصدى من اهتم بوحدة المكان هو " هتنر" حين ذكر " ان الحقيقة مجال من ثلاثة ابعاد في آن واحد ينبغي فحص هذا المجال من ثلاث وجهات نظر حتى يتسنى فهم الكل فأحدى وجهات النظر هي العلاقات بين الاشياء المتشابهة والثانية هي التطور خلال الزمن والثالثة هي التنظيم في المكان. والحقيقة هذه ككل لا يمكن الاحاطة بها

في العلوم النظامية المعقدة، لأنها علوم تحددها اغراض دراستها"[72]. حتى اصبحت اراءه ذات التأثير الكبير في الفكر الجغرافي وتتلمذ على يديه العديد من الجغرافيين ومن ابرز اراءه في هذا الصدد[73]:

1- الرفض لما يدعى بالازدواجية وعدم اقامة الحدود بين الحقلين الطبيعي والبشري.
2- رفضه للحدود المقامة ما بين الدراسات الاقليمية والعامة.
3- دراسة الترابط المتباين للظاهرات كما توجد على سطح الارض اي ترابط اجزاء الارض المختلفة دون المساس بعلاقة هذه الاجزاء مع بعضها.
4- اكد على ضرورة اعتماد المنهج الاقليمي اي دراسته من حيث المناخ والتربة ونشاط الانسان وغيرها.

ومع تصاعد ازمة الازدواجية التي عانت منها الجغرافية منذ سبعينيات القرن العشرين ظهر اتجاه يقوده " روجيه برونيه" حدد فيه ملامح الجغرافية المتجددة بعد ان اخذ بمبدأ تنظيم المجال الجغرافي اي المكان ذو الابعاد الاجتماعية(سكان، اقتصاد، انماط حياة) او اجتماع ذو خصائص مكانية(مساحة –ابعاد- اتجاهات)[74] مما يحقق تواصل واتصال يعد نوع من النتاج الثقافي

اما اواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين علق " بنك" الذي يعد من ابرز الشخصيات الجغرافية اواخر تلك الفترة على التهمة الموجهة للجغرافية بكونها ثنائية بالنص الاتي "ان الثنائية لا يشعر بها سوى شخص يرى حدوداً وليس مناطق من الاتصال بين العلوم، شخص يؤكد الاختلافات بين العلوم الاجتماعية والطبيعية اكثر من تأكيده على ترابط جميع العلوم وانتمائها معاً الى وحدة علمية عظيمة. ان اقسام تلك الوحدة العلمية لا تقع بجانب بعضها كالأراضي على الخارطة انها تقف في علاقات متنوعة مع بعضها البعض " اي لا يمكن الفصل بين ما هو بشري وغير بشري ولا يكون لها وزن، فالجغرافية لا تدعي اي ظواهر معينة باعتبارها خاصة بها، بل تدرس جميع الظواهر التي تتكامل بصورة بارزة في المناطق التي تدرسها بصرف النظر عن الحقيقة[75]. وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى الحدود الفكرية للجغرافي في ضوء ما اشار اليه الدكتور يسري الجواهري في كتابه المضمون البشري في الجغرافيا[76]:

1- رفض الحتمية التي نادت بخضوع الانسان قلباً وقالباً لهيمنة الوسط البيئي، اي ان عوامل الطبيعية وحدها لا يمكن ان تقود الى تنوع حضاري كما هو قائم في الوقت الحاضر.
2- ان لمستويات التكنولوجيا واشكال التنظيمات وطبيعة الافكار والنظر فيما هو صح ام خطأ لا علاقة له بالظروف البيئية، ثمة حدود تضعها البيئة لاستغلال الانسان غير انها ليست حدود مطلقة، بفعل التكنولوجيا والاعتبارات الاقتصادية.
3- المناجم والمصانع وحتى المدن غير العامرة بالسكان سابقاً كما في التندرا وغابات سيبريا خضت للقوى الديناميكية والبرامج التي وضعها الانسان واستغلت من قبله.

4- تعكس الخرائط اماكن التوطن والاستغلال البشري كما في المناطق المعتدلة وذات الاراضي الخصبة اذ تجد تركزهم في اقل من نصف مساحة العالم، كونها مناطق امدت السكان بما يحتاج من موارد عكس الاماكن القطبية الباردة.

5- في الوقت الذي يتركز السكان في جانب معين من العالم هناك مناطق غنية بالموارد ومصادر الطاقة فحم غاز بترول لم تستغل حتى الثورة الصناعية المتقدمة كما هو الحال في انكلترا.

هناك جانب اخر من علاقة الانسان في البيئة وهو "ان الانسان قادر على ان يغير من بيئته وهذا مصدر اهتمام الجغرافيا والجغرافي، فالجغرافيا الحضارية التي تدرس تفاعل الانسان مع بيئته الطبيعية وتأثيره على هذه البيئة فالإنسان يعدل من بيئته من خلال المشروعات المادية التي يقيمها على سطح الارض كالمدن والطرق والمزارع وما الى ذلك، اذ ان الاشكال التي تأخذها هذه الانجازات هي نتاج المجموعات الحضارية التي تعيش في ظلها".

كما ويرجع البعض حل مشكلة الثنائية الى دور الجغرافي نفسه كونها ارتبطت بالتطور التاريخي لهذا العلم من جهة والتقدم العلمي التكنولوجي من جهة اخرى لذا لابد من التأكيد على[77]:

1- ان علم الجغرافي علم تكاملي بالضرورة بل هو تكاملي بامتياز، ولكونها جسر رابط بين التخصصات الطبيعية والبشرية لذا فهي تعمل على اعادة ربط ما فصله التخصص الاكاديمي.

2- اعتماد المنهج العلمي الخاص لكشف التباين والتنوع في الظاهرات على سطح الارض لاسيما وان وحدة الجغرافية في هذا التنوع.

3- هدف الجغرافي الاساس يقدم دراسات تخدم الناس وتحل المشكلات اي ليست لمجرد التعبير عن انفسهم.

4- يحدد الجغرافي الحقل الذي يتمكن من ان يكثف جهوده لاتساعه وبقدر تحمل كفائته.

5- امانة ثقافية ان يركز الجغرافي جل اهتماماته في ما يعتقد انه جغرافيا.

6- التقسيم الطبيعي والبشري لايزال قائم على مستوى الجامعات لكنه يشكل مقتلاً للجغرافيا وتهميش لهويتها ووحدتها.

7- اعتماد البديل عن التقسيم الثنائي الا وهو الجغرافية الكمية والجغرافية النوعية كونه يحفظ هويتها الاكاديمية.

اعادة الاعتبار لمفهوم المجال كونه مسرح لنشاطات الانسان ولا يقتصر ذلك عند المفهوم البيئي وهذا يتطلب اعادة صياغة المفاهيم وتعلمها انها مهمة تعتمد بالدرجة الاساس على وضع خطط التنظيم المكاني و تعمل على تحديد المساحات المخصصة لكل نشاط بشري وتحقيق مجمل الخدمات مع حفظ هوية المكان فالأرض بمثابة الام المتنازلة عن حقها لأجل خدمة الابناء. فالمجال المكاني ينتظم وفق خمسة افعال حددها "معين حداد" (الاستملاك من قبل الجماعة، السكن والاقامة، استثمار الموارد الطبيعية، المجال اطارا للمبادلات المادية وغير المادية، الادارة السياسية)[78]. اي ان الجغرافية " تدرس التفاعلات المعقدة داخل منظومة الطبيعة والمجتمع والاقتصاد"[79]. الباحثة تؤمن في ان ما يدرس في الجامعات وعلى صعيد الدراسات العليا هو تقسيم الى حقلين طبيعي وبشري لغرض زيادة التخصص والخوض في تفصيلات دقيقة وزيادة المعالجات الممكنة، ولكن تقترح ولاسيما من هم في مرحلة الدكتوراه ان يتبنى الكورس الاول من الدراسة موضوعات تتعلق بالجغرافية عامة في حين يكون الكورس الثاني من الدراسة يختص في التخصص الدقيق للباحث حصراً اي الحقل الذي يروم فيه الكتابة رسالة ام اطروحة.

الاستنتاجات

التناظر الفكري وثنائية علم المكان دراسة في فلسفة الجغرافية

ا. م. د هدى عيدان جبار الربيعي

1- يعود تاريخ الثنائية الجغرافية الى جذور هذا التخصص ومع تتبع تاريخ حضارته لكن الظهور الرسمي للثنائيات الجغرافية يعود لبداية القرن السابع عشر التي ارتبطت مع اول ثنائية جغرافية وهي العامة والخاصة بينما تاريخ الثنائية الطبيعية والبشرية يعود الظهور الرسمي اليها ما بعد الكلاسيكية الجغرافية.
2- البحث انصب اهتمامه على تتبع تنامي الافكار الثنائية الطبيعية والبشرية فثمة صراع فكري جغرافي عبر الازمنة في تصاعد الاهتمام بالشق الطبيعي او البشري في محتوى الدراسات دون غيره.
3- ان فكرة الفصل بين الحقلين من الجغرافية امر غير مرغوب فيه كونه ضياع لحالة التفاعل القائمة بين الانسان والبيئة المحيطة.
4- ثمة اراء فكرية عديدة تقف بين التناظر الفكري والتجانس المعرفي تحدد مواقفها تبعاً لفهم المكان هل هو مجال للنشاطات البشرية ام يتحدد بالمفهوم البيئي، ومدى فهم ضرورة اعادة الاعتبار للإنسان في ضوء ما يشغل من الحيز ويعمر من الارض.
5- التكامل الفكري مرهون بالأيمان المطلق بوحدة علم المكان والارتقاء بفكرة الثنائية من الفصل المميت بين الحقلين نحو الاحتواء لزيادة التخصص وسهولة الدراسة ومن ثم تبويب المعلومات وحفظها.
6- الوحدة الجغرافية تحقق غاية العلم وتكامله بامتياز كونها تحدد الهوية الجغرافية وترسم المنطلقات الفكرية لبناء الشخصية الجغرافية واهدافها.

التوصيات

1- تسليط الضوء على الدراسات الجغرافية (الفكر الجغرافي) وفلسفة الجغرافية كونها المعين الاساس في استيعاب مجمل التخصصات الجغرافية والبوابة الحقيقية في هضم جملة التحولات في تاريخ الجغرافية.
2- لابد من تركيز الدراسات الفكرية والفلسفية في استيعاب الازدواجية والالمام بها فهي تقف عند حدود فهم التخصص والقدرة على تجاوزها.
3- ان فهم الصراع الفكري ينطوي في فهم الازمات التي تبنت تلك الافكار وحورت مسار الجغرافية وشكلت عقبات في مسير تطورها.
4- النهوض بالجغرافية الى واقع التطبيق واعتماد التقنيات الحديثة كونها من دواعي التجديد في الفكر الجغرافي المعاصر.
5- ان يفهم الجغرافي حدود التخصص وينتقي منهج جغرافي يحفظ له اطار عمله وان يبحث في تخصصه الدقيق ليكون اضافة فكرية قادرة على حل مشكلات عصره.

المصادر

اولاً- الكتب:

1. ابراهيم احمد سعيد، ممدوح شعبان دبس، تطور الفكر الجغرافي، منشورات جامعة دمشق،2011.
2. اشـرف محمـد عاشـور، الفكـر الجغرافـي مـن التقليديـة الـى الابـداع العلمـي، دار المعرفـة الجامعيـة، الاسكندرية، 2012.
3. جريفث تيلور، الجغرافية في القرن العشرين، ترجمة محمد السيد غلاب و محمد مرسي ابو الليل، ج1، ط3، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987.
4. جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، 1976.
5. حسـن طـه نجـم، واخـرون، البيئـة والانسـان دراسـات فـي الايكولوجيـا البشـرية، ط3، وكالـة مطبوعـات الكويت، الكويت، 1983.
6. حيـدر عبـد الاميـر رزوق النصـراوي، عبـد علـي حسـن الخفـاف، اتجاهـات الجغرافيـة الحديثـة والمعاصـرة، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2021.
7. ريتشارد بيت، الفكر الجغرافي الحديث، ترجمة عاطف معتمد واخرون، ط1، القاهرة، 2018.
8. ريتشـارد هارتشـورن، طبيعـة الجغرافيـة مسـح نقـدي لـلآراء المعاصـرة فـي ضـوء الماضـي، ج1، ترجمـة شاكر خصباك، بغداد،1984.
9. ريتشـارد هارتشـورن، طبيعـة الجغرافيـة مسـح نقـدي لـلآراء المعاصـرة فـي ضـوء الماضـي، ج2، ترجمـة شاكر خصباك، بغداد، 1984.
10. س.و. ولـدرج، و. جـورون ايـت، الجغرافيـا مغزاهـا ومرماهـا، ترجمـة يوسـف ابـو حجـاج، مكتبـة الشـرق، وزارة التربية والتعليم، مصر، ب.ت.
11. شاكر خصباك، تطور الفكر الجغرافي، ط2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2001.
12. شريف محمد شريف، تطور الفكر الجغرافي، ج1، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1969.
13. صـبحي احمـد الـدليمي، خالـد صـبار محمـد، فلسـفة الجغرافيـا والفكـر الجغرافـي الحـديث، ط1، دار امجـد للنشر والتوزيع، عمان، 2019.
14. صفوح خير، الجغرافية موضوعها ومناهجها واهدافها، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002.
15. صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، ط2، منشأة المعارف، الاسكندرية،1998.
16. عبـد الرسـول علـي موسـى، المكـان علـم الجغرافيـة وفلسـفتها التحليـل المكـاني ،ط1، دار الفكـر، دمشـق، 2009.
17. عبـد خليـل فضـيل، ابـراهيم عبـد الجبـار المشـهداني، الفكـر الجغرافـي، طبـع مـن قبـل وزارة التعلـيم العـالي والبحث العلمي جامعة بغداد.
18. عبـد علـي الخفـاف، محمـد محمـود زنكنـه، اسـئلة فـي فلسـفة الجغرافيـة، مطبعـة شـركة المـارد العالميـة، النجـف الاشرف، 2020.
19. علي احمد غانم، تطور الفكر الجغرافي، دار المسيرة، ط1،عمان ، 2013.
20. علي بولربح، الفكر الجغرافي المعاصر آليات التطور،ط1، منشورات باب الحكمة، 2015.
21. فتحي محمد ابو عيانة، تطور الفكر الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2017.
22. فتحي محمد ابو عيانة، مدخل الى الجغرافيا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2020.
23. ل.ددلـي سـتامب، الآراء الحديثـة فـي علـم الجغرافيـا، عربـه احمـد محمـد العـدوي، سلسـلة المعـارف العامـة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكان تعريبه مصر، 1936.
24. لوسـيان فيفـر، الارض والتطـور البشـري، ج1، ترجمـة محمـد السـيد غـلاب واخـرون، المركـز القـومي للترجمة، القاهرة، 2015.
25. محسـن عبـد الصـاحب المظفـر، فلسـفة علـم المكـان (الجغرافيـا)، ط1، دار الصـفاء للنشـر والتوزيـع، عمـان، 2005.
26. محمـد احمـد السـامرائي، الشخصـية الجغرافيـة عبقريـة الانسـان والمكـان، ط1، دار صـفاء للنشـر والتوزيـع، عمان، 2022.
27. محمـد احمـد السـامرائي، فلسـفة المكـان فـي الفكـر الجغرافـي، مؤسسـة دار الصـادق الثقافيـة، بابـل، ط1، 2015.

28. محمد ازهر سعيد السماك، علم التنظيم المكاني، موسوعة السماك العلمية لإصدارات الكتب الجغرافية المنهجية الحديثة، الموصل، 2021.
29. محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، العدد49، نشرة دورية، قسم الجغرافيا جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، 1983.
30. محمد علي عمر الفرا، التنظير في الفكر الجغرافي الحديث، رسائل جغرافية، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1990.
31. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط5، ج2، تدقيق يوسف اسعد داغر، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
32. معين حداد، الجغرافية على المحك، ط1، شركة المطبوعات للنشر، لبنان،2004.
33. نسيم برهم، واخرون، مدخل الى الجغرافية البشرية، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان/ الاردن، 1998.
34. هيلدبرت ازنار، الحيز الجغرافي، ترجمة اسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994.
35. يسري الجوهري، المضمون البشري في الجغرافيا ،ط1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 1999.

ثانياً- المجلات العلمية:

1- حسن طه نجم، ضوء على الفكر الجغرافي الحديث، مجلة الاستاذ، المجلد 11، كلية التربية، جامعة بغداد، مطبعة الحكومة ،بغداد، 1962-1963.
2- يوسف يحيى طعماس، الانسان والبيئة بين المنظور الجغرافي وفلسفة التاريخ دراسة في الفكر الجغرافي، العدد 57، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد.

ثالثاً- الرسائل

1- شفاء حسين هندي الجابري، الملامح البيئية في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي من القرن الرابع الهجري وحتى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2013.
2- مروة محروس نصار المشهداني، المدرسة الجغرافية الالمانية ودورها في تطور علم الجغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الانبار، 2019.

رابعاً- المصادر الاجنبية

1- Stella Dermend Zhieva, Geography and Geographical (Global)Thinking, Porto, Faculdade de Letras da Universidade do porto,2022.
2- Chandreyi Banerjee,Revealing The Truth BEHIND Dualisms and Dichotomies Geography, International JOURNAL of physical and social sciences, vol.7lssue10,October2017.

هوامش البحث

[1]() يوسف يحيى طعماس، الانسان والبيئة بين المنظور الجغرافي وفلسفة التاريخ دراسة في الفكر الجغرافي، العدد 57، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ص1.

[2]() س.و. ولدرج، و. جورون ايت، الجغرافيا مغزاها ومرماها، ترجمة يوسف ابو حجاج، مكتبة الشرق، وزارة التربية والتعليم، مصر، ب.ت، ص34.

[3]() فتحي محمد ابو عيانة، تطور الفكر الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2017، ص255-256.

[4]() جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، القاهرة، 1976، ص14-15.

[5]() محمد علي عمر الفرا، التنظير في الفكر الجغرافي الحديث، رسائل جغرافية، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت،1990، ص180

[6]() ريتشارد هارتشورن، طبيعة الجغرافية مسح نقدي للآراء المعاصرة في ضوء الماضي، ج1، ترجمة شاكر خصباك، بغداد، 1984، ص13.

[7]() علي احمد غانم، تطور الفكر الجغرافي، دار المسيرة، ط1، عمان، 2013، ص 144-145.

[8]() عبد خليل فضيل، ابراهيم عبد الجبار المشهداني، الفكر الجغرافي، طبع من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد، ص 12.

[9]() نسيم برهم، واخرون، مدخل الى الجغرافية البشرية، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان/ الاردن، 1998، ص20.

[10]() المصدر نفسه، ص20.

[11]() على احمد غانم، مصدر سابق، ص146.

[12]() محمد ازهر سعيد السماك، علم التنظيم المكاني، موسوعة السماك العلمية لإصدارات الكتب الجغرافية المنهجية الحديثة، الموصل، 2021،ص11.

[13]() محمد احمد السامرائي، فلسفة المكان في الفكر الجغرافي، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، ط1، 2015، ص39-40.

[14]() ل.ددلي ستامب، الآراء الحديثة في علم الجغرافيا، عربه احمد محمد العدوي، سلسلة المعارف العامة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكان تعريبه مصر، 1936، ص2 و ص12.

[15]() محمد احمد السامرائي، الشخصية الجغرافية عبقرية الانسان والمكان، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2022، ص42.

[16]() اشرف محمد عاشور، الفكر الجغرافي من التقليدية الى الابداع العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2012، ص38-39.

[17]() ريتشارد بيت، الفكر الجغرافي الحديث، ترجمة عاطف معتمد واخرون، ط1، القاهرة، 2018، ص 38.

[18]() صبحي احمد الدليمي، خالد صبار محمد، فلسفة الجغرافيا والفكر الجغرافي الحديث، ط1، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، 2019،ص20-22.

[19]() المصدر نفسه، ص23-24.

[20]() عبد علي الخفاف، محمد محمود زنكنه، اسئلة في فلسفة الجغرافية، مطبعة شركة المارد العالمية، النجف الاشرف، 2020، ص53-54.

[21]() عبد الرسول علي موسى، المكان علم الجغرافية وفلسفتها التحليل المكاني،ط1، دار الفكر، دمشق، 2009، ص11-14-15.

[22]() صفوح خير، الجغرافية موضوعها ومناهجها واهدافها، دار الفكر المعاصر، لبنان، 2002، ص31و33و35.

[23]() عبد خليل فضيل، ابراهيم عبد الجبار المشهداني، المصدر سابق، ص71.

[24]() ابراهيم احمد سعيد، ممدوح شعبان دبس، تطور الفكر الجغرافي، منشورات جامعة دمشق، دمشق،2011، ص 24-25.

[25]() شاكر خصباك، تطور الفكر الجغرافي، ط2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2001، ص32-33.

([26])ابراهيم احمد سعيد، ممدوح شعبان دبس، المصدر سابق، ص425.

([27]) الصدر نفسه، ص 37.

[28]() حسن طه نجم، ضوء على الفكر الجغرافي الحديث، مجلة الاستاذ، المجلد 11، كلية التربية، جامعة بغداد، مطبعة الحكومة ،بغداد، 1962-1963،ص295.

[29]() فتحي محمد ابو عيانة، مدخل الى الجغرافيا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2020، ص31.

[30]() المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط5، ج2، تدقيق يوسف اسعد داغر، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 219.

[31]() شفاء حسين هندي الجابري، الملامح البيئية في الفكر الجغرافي العربي الاسلامي من القرن الرابع الهجري وحتى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2013، ص42.

[32]() حسن طه نجم، مصدر سابق، ص 296.

[33]() شفاء حسين هندي، المصدر سابق، ص42.

[34]() ابراهيم احمد سعيد، ممدوح شعبان دبس، المصدر سابق ، ص346.

[35]() حيدر عبد الامير رزوقي النصرواي، عبد علي الخفاف، اتجاهات الجغرافية الحديثة والمعاصرة خصائص الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، عمان،2021، ص99-100.

([36]) المصدر نفسه، ص103.

[37]() محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، العدد49، نشرة دورية، قسم الجغرافيا جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، 1983، ص16-18.

[38]() مروة محروس نصار المشهداني، المدرسة الجغرافية الالمانية ودورها في تطور علم الجغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الانبار، 2019، 81.

[39]() صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، ط2، منشأة المعارف، الاسكندرية،1998، ص375-376.

[40]() علي بولربح، الفكر الجغرافي المعاصر آليات التطور،ط1، منشورات باب الحكمة، 2015، ص29-30.

[41]() جريفث تيلور، الجغرافية في القرن العشرين، ترجمة محمد السيد غلاب و محمد مرسي ابو الليل، ج1، ط3، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1987، ص87.

[42]() علي بولربح، المصدر سابق، ص31.

[43]() حسن طه نجم، واخرون، البيئة والانسان دراسات في الايكولوجيا البشرية، ط3،وكالة مطبوعات الكويت، الكويت، 1983، ص63.

[44]() علي احمد غانم، المصدر سابق، ص186.

[45]() المصدر نفسه، ص66-67.

[46]() لوسيان فيفر، الارض والتطور البشري، ج1، ترجمة محمد السيد غلاب واخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص33.

[47]() محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، المصدر سابق، ص37-38.

[48]() ل.ددلي ستامب، المصدر سابق، ص 10-11.

[49]() محمد احمد السامرائي، فلسفة المكان في الفكر الجغرافي، المصدر سابق، ص111.

[50]() محمد ازهر سعيد السماك، المصدر سابق، ص89.

[51]() نسيم برهم واخرون، المصدر سابق، ص 16.

([52])Chandreyi Banerjee,Revealing The Truth BEHIND Dualisms and Dichotomies Geography, International JOURNAL of physical and social sciences, vol.7Issue10,October2017,75.

[53]() محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، المصدر سابق، ص18و28.

[54]() صفوح الخير، الجغرافية موضوعها ومناهجها واهدافها، المصدر سابق، ص38.

[55]() محمد علي عمر الفرا، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر، المصدر سابق، ص28-29.

[56]() المصدر نفسه، ص29.

[57]() س.و. ولدرج، و. جورون ايت، المصدر سابق، ص13.

[58]() عبد علي الخفاف، محمد محمود زنكنة، المصدر سابق، ص55-56.

[59]() حسن طه نجم، المصدر سابق، ص 297-298.

[60]() المصدر نفسه، ص298.
[61]() عبد علي الخفاف، محمد محمود زنكنة، المصدر سابق،ص59-60.
[62]() محسن عبد الصاحب المظفر، فلسفة علم المكان (الجغرافيا)، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص123.
[63]() محسن عبد الصاحب المظفر، المصدر سابق، ص124.
[64]() شريف محمد شريف، تطور الفكر الجغرافي، ج1، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1969، ص13.
[65]()عبد علي الخفاف، محمد محمود زنكنة، المصدر سابق، ص60-61.
[66]() محمد احمد السامرائي، فلسفة علم المكان في الفكر الجغرافي، المصدر سابق، ص 177و ص179.
[67]() هيلدبرت ازنار، الحيز الجغرافي، ترجمة اسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص5.
[68]() س.و. ولدرج، و. جورون ايت، المصدر سابق، ص27-28.
([69]) المصدر نفسه،ص31.
[70]() محسن عبد الصاحب المظفر، المصدر سابق، ص 124-125.
[71]() حيدر عبد الامير رزوق النصراوي، عبد علي حسن الخفاف، المصدر سابق، ص237.
[72]() المصدر نفسه، ص125-126.
[73]() محمد ازهر سعيد السماك، المصدر سابق، ص 84.
[74]()حيدر عبد الامير رزوقي النصراوي، عبد علي حسن الخفاف، المصدر سابق، ص238.
[75]() ريتشارد هارتشورن، طبيعة الجغرافية مسح نقدي للآراء المعاصرة في ضوء الماضي، ج2، ترجمة شاكر خصباك، بغداد،1984، ص189و ص194.
[76]() يسري الجوهري، المضمون البشري في الجغرافيا ،ط1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، 1999، ص41-43.
[77]() محمد احمد السامرائي، فلسفة المكان في الفكر الجغرافي، المصدر سابق، ص184-185.
[78]() معين حداد، الجغرافية على المحك، ط1، شركة المطبوعات للنشر، لبنان،2004 ص184.
([79]) Stella Dermend Zhieva, Geography and Geographical (Global)Thinking, Porto, Faculdade de Letras da Universidade do porto,2022, p104.